المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
العدد الثاني عشر/ الجزء الثاني نيسان 2022

تطبيق الكتاب والسُّنَّة على الواقع

(أسباب بُعد الأمة عن الكتاب والسُّنَّة وسبل تطبيقهما).

the reasons for the nation's distance from the application of the two approaches of the Noble Qur'an and the purified Prophetic Sunnah to the lived reality in their daily lives.

الدكتور/ طه أحمد صالح مرجان.

الملخص.

هدفت الدراسة هذه إلى إثبات أسباب بعد الأمة عن تطبيق منهجي القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة، على الواقع المعاش في حياتهم اليومية بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة، وسبل تطبيقهما متناولة نماذج من تطبيق السلف الصالح للقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، ومنهج التجديد، وإتباع منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وأدب الإختلاف، والتأثير والتأثر الذي حدث بين العصرانيين في المجتمع الإسلامي. وهذه القضية قديمة جديدة، حاول فيها الباحثون أن يجعلوا للقرآن الكريم والسُّنة النبوية قدماً راسخة في مجال التطبيق والإستشهاد بمصدري الوحي الأصيلين، وعدم الفصل بينهما في واقع الحياة في ظل رخاوة الوازع الديني في المجتمع المسلم.

الكلمات المفتاحية : الكتاب ، والسنة ، الأمة.

Abstract.

This study aimed to prove the reasons for the nation's distance from the application of the two approaches of the Noble Qur'an and the purified

Prophetic Sunnah to the lived reality in their daily lives for the individual, family, society and the state, and ways to apply them. It deals with examples of the application of the righteous predecessors to the Noble Qur'an and the Prophet's Sunnah, the method of renewal, following the approach of Ahl al-Sunnah wa'l-Jamaa'ah, the literature of the difference, and the influence and affected that occurred among the modernists in the Islamic society. This issue is old and new, in which researchers have tried to make the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet a firm rooting in the field of application and citing the two original sources of revelation, and not to separate them in the reality of life in light of the looseness of religious belief in the Muslim community.

Keyword: the Noble Qur'an, Sunnah, nation.

بسم الله الرحمن الرحيم

تطبيق الكتاب والسُّنَّة على الواقع

(أسباب بُعد الأمة عن الكتاب والسُّنَّة وسبل تطبيقهما)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

المتمسك بالهُدى الحريص على تطبيق الكتاب والسُّنَّة على منهج السلف الصالح خاصة في ظل رخاوة الوازع الديني في المجتمع المسلم، هو غريب بين هؤلاء فطوبى له... يقول عليه الصلاة والسلام: ((فطوبى للغرباء))([1]).

الأصل أنَّ الإنسان متبع لما جاء في القرآن والسُّنَّة ويدل لهذا أدلة كثيرة ومن ذلك قول الله تعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ)([2]) لا يقول : ماذا أجبتم فلاناً أو فلاناً من العلماء، أيضاً قوله تعالى (َمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) ([3]) وأيضاً من السُّنَّة حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه) أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليهما بالنواجذ) ([4])، وأيضاً ما ثبت في صحيح مسلم أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقول في خطبته: ((أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد (صلى الله

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب- الإيمان – 67 باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً 90/1 رقم 389.
[2]- سورة القصص ، الآية 65.
[3]- سورة الشورى- الآية : 21.
[4]- أخرجه الإمام أحمد في المسند 361/28 رقم 17142، وابن ماجة في:كتاب الإيمان – 6 باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين 15/1 رقم 42.

عليه وسلم)))([1]) وحديث عائشة (رضي الله عنها)، أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ))([2]) وغيرها من الأحاديث.

والنصوص في هذا كثيرة جداً، ولو أدرك الناس معناها لما رغب أحدٌ في دنيا زائلة، وإشترى بها حياة باقية، ولكن لما ذُهلت النفوس في خضم الماديات وحب الشكليات، وإتباع الهوى، والتنازع من أجل المراكز، والتصارع بسبب المراتب، إبتعد الناس عن دين الله تعالى أفواجاً، فكانت النتيجة الحتمية التي تصب في قالب التناكر والتنافر بين القلوب والإجساد.

فوظيفة الإنسان الأساسية هي الخلافة في الأرض والعيش فيها وتسخيرها في حياته ليبقى بها كما قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)([3]).

وعلى الإنسان أن يسير بهدى وبصيرة متمسكاً بهدى الله وهدى رسوله الكريم، ولكننا نجد أن الإنسان قد تمرَّد على بشريته وفطرته، وتعدَّى حدود وظيفته بمخالفة بعض سنن الكون والحياة واتبع هواه.

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الجمعة – 14 باب تخفيف الصلاة والخطبة 11/3 رقم 2042.
[2]- أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب الطيب للجمعة 36/7 رقم 2697، ومسلم في: كتاب ألاقضية – 8 باب نقض الأحكام الباطلة 132/5 رقم 4589.
[3]- سورة الذاريات، الآية: 56.

ولذلك رأينا أن نعرض لهذه القضية المهمة والحساسة لنقف على أسباب بعد الأمة عن منهج الشريعة، وسبل تطبيقهما على الواقع حتى يصبح المجتمع الإسلامي متفانٍ، متبعاً لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، وسلف الأمة، جاعل ذلك في أربعة محاور، والله نسأل التوفيق.

أهداف الدراسة:

هذا، ومن أهم أهداف البحث، ما يلي:-

- معرفة أسباب بعد الأمة عن الكتاب والسُّنَّة.
- معرفة منهج أهل السُّنَّة والجماعة.
- الوقوف على نماذج من تطبيق السلف للقرآن والسُّنَّة وسبل تطبيقهما.

منهج البحث:

منهج تفسير النصوص وتحقيقها.

المحور الأول

أسباب بعد الأمة عن الكتاب و السُّنَّة

الأول: فكر التجديد والعصرية.

ليس التجديد المجئ بالشيء الجديد، وأن نستورد من اليهود والنصارى وغيرهم أفكارهم من قريب أو بعيد، فهذا ليس بالتجديد، وإنما هو التوريد...

التجديد هو أن نجدد الأصل، أن نجدد الإسلام نفسه بإزالة ما عَلِقَ به من البدع. وبالتزام ما تركه الناس من أحكامه، وبتنقيته من الشوائب المستوردة- وهي ظاهرة في عاداتنا وتقاليدنا- بمعنى أن نعيده كما كان جديداً أصيلاً- .. أن نعود به إلى البداية... أن نعود إلى جوهر الإسلام.. إلى المنهاج الذي كان عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فنقوم بتجديد الدين بهذا المعيار في النفوس وفي الواقع، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها))([1]).

[1] أخرجه أبوداود في: كتاب الملاحم- 1 باب ما يذكر في القرن المائة 178/4 رقم 4293 وصححه الألباني . والطبراني في الكبير 467/19.

بهذا التجديد ترجى النجاة، ولا انقطاع لطائفة النجاة، التي ذكرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما في الحديث الذي عند الشيخين وغيرهما وبين أنها ظاهرة لا تنتقطع وأنها تبقى إلى قيام الساعة، حفظاً لدين الله، وحجة على الناس، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم):

عن حميد بن عبدالرحمن قال: سمعت معاوية (رضي الله عنه) خطيباً يقول: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله))([1])

الثاني: الغش والخداع باسم الدين:

[1]- أخرجه البخاري في: كتاب العلم-13 باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين 39/1 رقم 71 ومسلم في : كتاب الزكاة – باب النهي عن المسألة 718/2 رقم 1037 والإمام أحمد في المسند 1010/4 رقم 16973.

الأصل في المسلم أنه لا يغش ولا يخدع، ولا يطفف– والله عز وجل يقول: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) ([1]) لكن يجتهد في إيفاء الناس حقوقهم، وعدم بخسها، قال تعالى: (وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ..)([2]) وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((من غشنا فليس منا)) ([3]).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مرَّ على صبرة ([4]) طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : ((ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال : أصابته السماء ([5]) يا رسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني))([6]).

فإذا اجتهد في ذلك وعمل على إصابة الحق فإنه لا شيء عليه– إن شاء الله– والعمل على إعطاء الناس حقوهم، وحينئذٍ لا شيء عليه– إن شاء الله تعالى.

الثالث: الفراغ:

---

[1]- سورة المطففين، الآية ،1

[2] - سورة الأعراف، الآية: 85

[3]- أخرجه مسلم في : كتاب المقدمة – 45 باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((من غشنا فليس منا)) 69/1 رقم 294.

[4]- الصبرة : الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض ومنه قيل للسحاب فوق السحاب صبير. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، 9/3.

[5]- أصابته السماء: أي المطر.

[6]- أخرجه مسلم في المقدمة- 45 باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((من غسنا فليس منا)) 69/1 رقم 102.

كم هي أوقات الناس اليوم التي تذهب سدىً، وتضيع هباءاً منثوراً : فيقضونها في اللعب، ومشاهدة المباريات، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي- خاصة الشباب- والصراخ والغضب على كومة من الجلد، وكم هي الأوقات التي تهدر في سبيل مشاهدة مسلسل، أو حفلة غنائية تميت القلوب، ... فأوقات المسلمين اليوم أصبحت فراغاً تُملأ بلا شيء، فلا علماً شرعياً يتعلمونه، ولا درساً يحضرونه، ولا قرآناً يحفظونه، ولا سُنَّة يتبعونها، فما هذه الحياة؟ للموت أعظم منها فضلاً، وأكثر خيراً، فمن كانت تلك حياته كثرت سيئاته، ولقي الله بطوفان من الذنوب تنوء بحملها الجبال الراسيات.

يقول البخاري رحمه الله : ((اغتنم في الفراغ فضل ركوع))([1]). عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لرجل وهو يعظه: ((أغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))([2]).

[1]- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي 386/1.

[2]- أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق 341/4 رقم 7846، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم.

وعن غنيم بن قيس قال: ((كنا نتواعظ في أول الإسلام ابن آدم أعمل في فراغك قبل شغلك، وفي شبابك لكبرك، وفي صحتك لمرضك، وفي دنياك لآخرتك وفي حياتك لموتك))([1]).

[1]- أخرجه ابن الجعد في المسند 219/1 رقم 1451.

الرابع: خروج الأمة عن السُّنَّة والجماعة:

يتألم العلماء والدعاة وطلابهم على فرقة المسلمين وكثرة دولهم. ولقد غلب على الأمة إتباع إطار المعُصِّرين –وهم العصرانيون– فقد استرخى وصار مُهترئاً مستباحاً حين داخلته الأفكار المنحرفة من جهات المغضوب عليهم والضالين والمبتدعة.

ومن أسباب خروج الأمة عن الجماعة كما قال ابن بطة: السبب الذي أخرج أقواماً من السُّنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم فوجدت ذلك من وجهين([1]):-

أ- البحث والتنقيب وكثرة السؤال عما لا يغني ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم))([2]).

[1]- الأبانة الكبرى، ابن بطة، 390/1.

[2]- أخرجه مسلم في: كتاب الفضائل – 37 باب توقيره (صلى الله عليه وسلم) وترك إكثار سؤاله لا ضروره إليه...1829/4 رقم 1337.

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((إنَّ الله كره لكم ثلاثاً: قيل، وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال))([1]).

ب- مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته. عن أبي حنيفة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((جالس العلماء، وسائل الكبراء، وخالط الحكماء))([2]).

وعن مالك : أنه بلغه أنَّ لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: ((يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإنَّ الله يُحي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض الميتة بوابل السماء))([3]). وقال:وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله))([4]).

فالله يا معشر المسلمين راقبوا الله في أنفسكم وبالغوا في النصيحة لها والإشفاق عليها وأحذروا مجالسة من يلبس عليكم دينكم ويوقع الشك في قلوبكم ويشككم في ربكم، فإنَّ هؤلاء

[1]- أخرجه البخاري في: كتاب الرقاق – 22 باب ما يكره من قيل وقال 2375/5 رقم 6108.
[2]- أخرجه الطبراني في الكبير 125/22 رقم 323.
[3]- أخرجه مالك في الموطأ 1458/5 رقم 3670
[4]- أخرجه الإمام أحمد في المسند 214/5 رقم 21916

الجهمية المعتزلة قد اختلفت بهم الأهواء وصيرتهم المذاهب إلى المذاهب القبيحة والآراء فأخذت بهم الطرق إلى المهالك فزاغوا عن سبيل الله إلى الضلال فصاروا زائغين.([1])

الخامس: وقوع التناكر بين النَّاس:

عن حذيفة قال: ((سُئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الساعة فقال: علمها عند ربي لا يجليها إلا لوقتها إلا هو. ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها: إن بين يديها فتنة وهرجاً– قالوا: يارسول الله: الفتنة قد عرفناها، فالهرج ماهو؟ قال بلسان الحبشة : القتل، يُلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحد يعرف أحداً))([2]).

فالحديث يصدق واقع اليوم من التناكر بين الناس، بين البيت الواحد، وبين الجار وجاره، فحصلت القطيعة والفرقة، كل ذلك بسبب أطماع دنيوية، ووقع التناكر يحصل عند كثرة الفتن والمحن، وكثرة القتال بين الناس. وحينما تستولى المادة على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه، غير مكترث بمصالح الآخرين، ولا بحقوقهم، تنتشر الأنانية البغيضة، ويعيش الإنسان في بوتقة الأهواء والشهوات، وتحقيق الرغبات، فلا تكون هناك قيم أخلاقية، وليس هناك أخوة إيمانية، فلا حب في الله، ولا تعاون على البر والتقوى، بل يصبح الناس كأنهم

[1]- الإبانة الكبرى- مرجع سابق 194/3.
[2]- أخرجه الإمام أحمد في المسند 23306/38 وقال البيهقي : رجاله رجال الصحيح.

في غاب يأكل فيها القوى الضعيف، ويرجو كل إنسان أن يستأثر بالخير لنفسه، دون أحد سواه، وقد جاء عن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أن ذلك ليس من الإيمان في شيء، فمن أحب نفسه ورضي لها ما لم يرضى لغيرها فهو ناقص الإيمان، عن أنس (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((لا يؤمن أحكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))([1]).

فأين تحقيق هذا الحديث اليوم، وعندما تشاهد أحوال الناس في هذا الزمان فتجد عجباً وغرابة في تطبيق الكتاب والسُّنة، فقد هجروا كتاب الله، ورغب عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فوقع التناكر والاختلاف بين القلوب، وحصل الصراع وإحتدم النزاع بين الناس من أجل الدنيا ودرجاتها ومناصبها، وتركوا النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، قال تعالى: (قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)([2]).

[1]- أخرجه البخاري في : كتاب الإيمان – 26 باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 13/1 رقم 13. ومسلم في : كتاب الإيمان – 19 باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير 49/1.
[2]- سورة النساء، الآية : 72

السادس: أهل السلطان في بلاد المسلمين:

قبل أن نخوض في هذا نسأل سؤالاً هو: هل لعلماء الأمة بالنسبة لأهل السلطان تلك المنزلة الواجبة من استشارتهم في سائر الأمور والنزول على ما يشيرون به ويقولونه؟ وهل هذا حاصل في الواقع في أغلب بلاد المسلمين؟.

اللهم لا، وإنما أغلب بلاد المسلمين السلطان يتخذ من أصحاب العمائم، أو من يتزيون بزي أهل العلم من يوافقونه في هواه، ومن يحللون له إذا أراد أن يكون الشيء حلالاً، ويحرمون إذا أراد أن يكون الشيء حراماً، ولا يتقون الله فيما يقولون.

ثم بعد ذلك أيضاً بعضهم يستبين له الحق ويظهر له بالدليل القاطع لكن تغلبه مصلحته الشخصية وإستبقاء ملكه يحمله عنها أن يخالف ما يقوله أهل العلم الثقات الناصحون وهذا أيضاً ظاهر.

المحور الثاني

نماذج من تطبيق السلف للقرآن والسَّنَّة

1- تطبيق الكتاب والسُّنة عند السعدين: ([1])

لما تحزب الأحزاب على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) والمسلمين، أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يُصالح قادة المشركين على ثلث ثمار المدينة ويرجعوا، كل ذلك رفقاً بأصحابه، فاستشار السعدين (رضي الله عنهما) فقالا في غاية الاستسلام لله، والأدب مع رسول الله: ((يا رسول الله! أأمر أمرك الله به لابد من العمل به فسمعاً وطاعة؟ أم أمر تحبه يا رسول الله! فما تحبه مقدم على كل شيء، أم شيء تصنعه لنا؟ قال : بل شيء أصنعه لكم؟ لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله ! لقد كنا وهؤلاء على الشرك بالله، والله ما يطمعون ثمرة من ثمار المدينة إلا قِرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا به وبك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً }([2])

---

[1]- هما سعد بن أبي وقاص، وسعد بن معاذ (رضي الله عنهاما).

[2]- سورة الأحزاب، الآية : 22 ، والحديث ذكره ابن كثير في البداية والنهاية 105/4 وسيد قطب في ظلال القرآن 436/3.

2- العمل بالكتاب والسُّنة عند الصديق (رضي الله عنه):

وها هو أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) يقول: ((لست تاركاً شيئاً كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى أن تركت من أمره شيئاً أن أزيغ))([1]).

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم)([2]).

لما أشار بعض المسلمين على أبي بكر (رضي الله عنه) بألا يبعث جيش أسامة لاحتياجه إليه، قال: ((والله لو أن الطير تخطفني، وأن السباع من حول المدينة، وأن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، ما رددت جيشاً وجهه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا حللت لواء عقده رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والله لو لم يبق في القرى غيري لأنفذته، أفأطيعه حياً وأعصيه ميتاً!))([3]) ثم أعلنها حرباً على المرتدين، فقيل له: أنهم يقولون لا إله إلا الله، قال: ((والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً أو

[1]- أخرجه البخاري في: كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة 289/10 رقم 3093 ومسلم في: كتاب الجهاد والسير- 6 باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم): ((لا نورث ما تركناه فهو صدقة)) 155/5 رقم 4681.

[2]- سورة النور، الآية : 63

[3]- أخرجه البيهقي في الاعتقاد 345/1.

عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه))[1]. فنصر الله به دين الله.

هذا هو الإسلام في عليائه مثلٌ وأعلامٌ ودين وقيم. ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) رسولاً، وتلك سهلة بالدعوى واللسان، لكنها صعبة عند التحقيق والامتحان، كما قال (صلى الله عليه وسلم): ((ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله وسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[2].

فالرضا: كمال الإنقياد والاستسلام لأوامر الله ونواهيه، ولو خالف المرء شيخه وطائفته ومذهبه، وهوى نفسه.

[1]- أخرجه أبو داؤد في: كتاب الزكاة، 1 باب وجوب الزكاة 1/2 رقم 1558. والنسائي في : كتاب الزكاة- باب مانع الزكاة 14/5 رقم 2443

[2]- أخرجه الترمذي في: كتاب صفة جنهم- باب 10 15/5 رقم 2624 وقال : هذا حديث حسن صحيح وقد رواه قتاة عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم). وقال الألباني صحيح.

فذلك الجيل أسلم واستسلم وإنقاد لحكم الله بلا خيار.{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}([1]) وبلا تنطع في البحث عن الحكمة والعلة، لأن ذلك ينافي التسليم والإنقياد:{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}([2]).

3- تطبيق الكتاب والسُّنة عند نساء الصحابة:

تقول عائشة (رضي الله عنها) فيما روي عنها: ((إن لنساء قريش فضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، لا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل منهن، لما نزل قول الله: { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}([3]) إنقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فما منهن إمرأة إلا قامت إلى مرطها فإعتجرت به وغطت رأسها، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتاب))([4]).

قال الشاعر:

يا رب أنثى لها دينٌ لها أدب *** فاتت رجالاً بلا عزم ولا أدب

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية : 36
[2]- سورة الأنبياء، الآية: 23
[3]- سورة النور، الآية: 31
[4]- ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكتاب للزمخشري بإسناده إلى ابن أبي ماتم في تفسيره 432/2.

ويختلط الرجال والنساء في الطرق عند الخروج من المسجد، فيقول (صلى الله عليه وسلم) كما ثبت في سنن أبي داود: ((إستأخرن عليكن بحافات الطريق))([1]).

4/ تطبيق السُّنة عند ابن رواحة:

يُقبل عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) عند المسجد، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطب، فسمعه يوجه الأمر للواقفين: ((إجلسوا، فجلس مكانه خارج المسجد، مستسلماً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو لا يعلم حكمة ذلك الأمر، حتى فرغ النبي (صلى الله عليه وسلم) من خطبته وعلم بذلك، فقال: زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله))([2]).

لما وجَّه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الكعبة، صلى معه العصر رجلٌ، ثم مرَّ على قوم من الأنصار يصلون إلى بيت المقدس، فقال: ((أشهد أني صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد وُجِّه نحو الكعبة، وهم ركوعٌ فانحرفوا، ما راجعوا وما ترددوا، وما رفعوا

[1]- أخرجه أبو داود في: كتاب الأدب- 181 باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق 543/4 رقم 5274
[2]- أخرجه الطبراني في الأوسط 62/9 رقم 9218

رءوسهم حتى إمتثلوا، على مشطهم ينطبق قول الله ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾([1]).

المحور الثالث

سبل تطبيق الكتاب والسُّنة

1- التجديد وإتباع منهج أهل السُّنة والجماعة:

بهذا التجديد ترجى النجاة، ولا إنقطاع لطائفة النجاة.. الطائفة التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما في الحديث الذي عند الشيخين وغيرهما وبين أنها ظاهرة لا تنقطع وأنها تبقى إلى قيام الساعة، حفظاً لدين الله ، وحجة على الناس، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرها من خالفها))([2]).

ولقد عني العلماء الجهابذة بهذا الأمر، وكلٌ منهم مثالٌ متبع في أنواع من الخير كما نحسبهم ولا نزكيهم على الله، وهم لا يرضون البدع ولا بالانحلال ولا بالأفكار المارقة. ولهم تلاميذ صادقون في أقطار البسيطة (الأرض) وهم جاهزون إن شاء الله لإعادة الدين لمجده في

[1]- سورة النور، الآية : 51 والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 2279/2/2.
[2]- أخرجه ابن ماجه في: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة – 1 باب إتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) 5/1 رقم 7.

آخر الزمان على مناهج النبوة، وقبل ذلك يتألم العلماء والدعاة وطلابهم على فرقة المسلمين وكثرة دولهم، ولكن منهج أهل السُّنة والجماعة هو إعطاء كل حاكم دولة حقوق ولي الأمر في الطاعة والمناصحة وعدم الخروج عليه مادام مسلماً، والسعي بقدر الإمكان لجمع ما يمكن جمعه وتوحيده من دول المسلمين بالحكمة في ضوء ضوابط الشرع.

وهم جميعاً ماضون على منهاج أصيل هو منهاج أهل السُّنة والجماعة الذي هو إطار لهم. أما إطار المعصرين– وهم العصرانيون– فقد استرخى وصار مُهترئاً مستباحاً حين دخلته الأفكار المنحرفة من جهات المغضوب عليهم والضالين والمبتدعة، وبقي إطار أهل السُّنة والجماعة إطاراً أصيلاً متيناً ثابتاً.

2– الأخذ بقانون الترجيح عند الاختلاف:

الأصل أن الإنسان متبع لما جاء في القرآن الكريم، والسُّنة، ويدل على هذا أدلة كثيرة من ذلك: قول الله تعالى : {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ }([1]) لا يقول : ماذا أجبتم فلاناً أو فلاناً من العلماء، وأيضاً قوله تعالى : {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}([2]).

[1]- سورة القصص، الآية : 65
[2]- سورة الشورى، الآية : 21

وأيضاً من السُنة حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ))([1]).

وأيضاً ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقول في خطبته: ((أما بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد (صلى الله عليه وسلم)))([2]).

وحديث عائشة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد))([3]).

وفي رواية مسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ))([4]). وأيضاً قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله))([5]).

والنصوص في هذا كثيرة جداً، وإذا اختلف العلماء على قولين فأكثر فإن الإنسان لا يخلو من أمرين:

---

[1]- أخرجه أبو داود في : كتاب الملاحم- 1 باب ما يذكر في القرن المائة 178/4 رقم 4293، وقال الألباني : صحيح ، والطبراني في الكبير 467/19.

[2]- أخرجه مسلم في : كتاب الجمعة- 14 باب تخفيف الصلاة والخطبة 11/3 رقم 2042

[3]- أخرجه البخاري في: كتاب الجمعة – باب الطيب للجمعة 36/7 رقم 2697، ومسلم في : كتاب الأتقية – 8 باب نقض الأحكام بالباطلة ورد محدثات الأمور 5/ 132 رقم 4589.

[4]- أخرجه مسلم في : كتاب الأقضية – 8 باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 132/5 رقم 4590

[5]- أخرجه الإمام أحمد في المسند 139/7رقم 7428.

الأول: أن يتبين له الحق من الكتاب والسُّنة، فهذا يجب عليه أن يتبعه، لما تقدم من الدليل.

الثاني: ألا يتبين له كأن يكون عامياً، أو تتكافأ عنده الأدلة، ونحو ذلك، فهذا يأخذ بقول أوثق العالمين علماً وورعاً، فإن تساوى عنده العالمان في العلم والورع، قال بعض الأصوليين بأنه يتخير من أقوالهما، وقال بعض الأصولين بأنه يأخذ بالأشد. والله أعلم.

3- عدم الحرج:

وبلا حرج في النفس عند تطبيق النص الشرعي: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }([1]). وقال تعالى : {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ }([2]).

4- استغلال وقت الفراغ بما يفيد:

فعلى المرء العاقل أن يستغل أوقات فراغه في طاعة الله تعالى، ويحذر من المعصية، فالحياة أيام وشهور وسنوات ثم يعود الخلق للبارئ جل وعلا، ولو أدرك العبد أن خُلق لعبادة الله تعالى، لما غفل عن الموت لحظة، ولكن شغله الشاغل طاعة الله تعالى في سره وعلنه،

[1]- سورة النساء، الآية : 65
[2]- سورة، الحج، الآية: 78.

لكن لما لم يدخل الإيمان قلوب الكثيرين التهوا بالملهيات، وانحرفوا واء تيار المغريات، والله تعالى يقول لهم: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}([1]) فعلى المسلم أن يستغل أوقات حياته في هذه الدنيا في طاعة ربه ومولاه، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))([2]).

5-الرد إلى الكتاب والسُّنة عن طريق العلماء:

ومن هم العلماء؟ أي العلماء العاملون الذين لا يقولون على الله ما لا يعلمون، والذين لا يطوعون الفتوى من أجل أن تكون مرضية لهذا أو ذاك، وإنما يصدعون بالحق أو الذي عُهد من سيرة الأئمة في القديم والحديث.

والمنهج القديم في مجال التصحيح أن ينظر العالم المصلح إلى الجوانب التي طغت فيها أمور الجاهلية في عصره على معالم الإسلام فيحاول إبرازها ويركز عليها من ناحية كشف عوارها، ومن ناحية تقديم البديل الصالح، من تجلية منهج الإسلام وتوجيهاته السامية في هذا المجال.

[1]- سورة الذاريات، الآية : 56
[2]- أخرجه البخاري في: كتاب الرقاق- 1 باب ما جاء في الصحة والفراغ 357/5 رقم 6049

6- نشاط الفقهاء والدعاة إلى تأصيل العلوم الإسلامية:

تشهد الأمة نشاطاً ملحوظاً في هذا العصر في سبيل الدعوة إلى تأصيل العلوم الإسلامية من الكتاب والسُّنة، وتلقى دعوتهم قبولاً كبيراً لدى المهتمين بتصحيح أوضاع المسلمين، والعناية بمستقبل الدعوة الإسلامية.

وهذه الدعوة تشمل تصحيح المفاهيم السائدة سواء في مجال أصول الدين أو فروعه. وإنّ محاولة التصحيح هذه يلزم لها توافر الأمور التالية:-

أ- القيام بدراسة واسعة للكتاب والسُّنة، وتمييز المقبول منها من المردود.

ب-القيام بدراسة حياة الصحابة العلمية لمعرفة فهمهم للصنوص وبيان منهجهم وتحديد مذاهبهم، لأنهم هم الذين أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإقتداء بهم.

ج- القيام بدراسة لكتب العلماء، والاستفادة من استنتاجاتهم العلمية مع ملاحظة تقييد ذلك بموافقة الكتاب والسُّنة وفهم الصحابة.وبالنسبة لكتب العقيدة فإنها تحتاج إلى تنقية مما داخلها من إنتاج الفكر البشري المحدود البعيد عن الإهتداء بالوحي الإلهي. ومما يلاحظ أنَّ كتب السلف في هذا المجال قد حفلت بالردود الكثيرة على المخالفين، وخاصة فيا يتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته، نظراً لحجم

المشكلة الفكرية التي أثارها المعتزلة والجهمية وغيرهم من الطوائف المنحرفة، فلما إطلع العلماء في هذا العص على هذه المكتبة الزاخرة خلد في أذهان بعضهم أن هذه المباحث هي مفهوم السلف عن العقيدة فركزوا اهتمامهم على هذه المباحث التي أشيعها العلماء السابقون بحثاً، واقتبسوا منها مناهج للدراسة، وتعثروا في بحث جوانب مهمة من العقيدة لم يركز عليها الأقدمون مثل: بيان معنى كلمة التوحيد الشامل، ونواقض الإيمان، ومفهوم العبادة الواسع، والحكم بما أنزل الله.وإن التركيز على بيان المخالفات المعاصرة لمصاحب الدعوة هو المنهج السليم والمجدي في القيام بعملية الإصلاح وإعادة المسلمين إلى تطبيق الكتاب والسُنة.

ح- يحتم على رجال الدعوة الإسلامية أن يضعوا منهجاً موحداً يضمن للأمة سلامة طريقها في عودتها إلى تطبيق شريعة الله التي إرتضاها لعباده، وإنّ على رؤساء الجمعيات وأصحاب النشاط البارز في توجيه الشباب، والذين يدعون جميعاً إلى تحكيم شريعة الله أن يوحدوا طريقهم، ويجمعوا كلمتهم ويبتعدوا عن النزاع الذي

يعقبه الفشل المحتوم كما قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }([1]).

الخاتمة:

فيكفي الأمة الإسلامية ما عانته من فشل في إتباع هدى الله ورسوله : ((والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين))([2]).

وقد لدغ المسلمون مرات. ولا يمكن أن توحد الكلمة إلا أن يكون هناك مرجع تحتكم الفئات المختلفة في وجهات نظرها إليه، ولا مرجع لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) في هذا الأمر – وكلهم بحمد الله يدعون إلى الكتاب والسُّنة – إلا برجوعهم إلى منهج خلفائه الراشدين الذين حثنا رسول الهدى على التمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده حيث قال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ))([3]).

[1]- سورة الأنفال، الآية : 46
[2]- أخرجه مسلم في: كتاب الأدب – 12 باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، 63/4 رقم 2295
[3]- أخرجه ابن ماجه في: كتاب السنن – 6باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين 28/1رقم 42.

فيجب على فقهاء الدعوة المهتمين بجمع كلمة الأمة، وتطبيق أحكام الله في الأرض أن يتأملوا قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) لأن سنتهم والله أعلم أطيب قدوة للأخذ بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) إذ كانوا خير مثال لفهم تطبيق كتاب الله وسنة رسوله عملياً، وكذلك من سلك مسلكهم في هذا المجال من بعدهم ويشهد لهذا قوله (صلى الله عليه وسلم) حين ذكر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وأن واحدة من هذه الفرق سوف تستمر ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله تعالى، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال: ((ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي))([1]).

وهذه المثلية شاملة لجميع شئون الحياة، في العقيدة وفي العبادات والمعاملات ونظم الحكم، والسلوك والأخلاق وفي كل ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية لتحقيق استخلافها في الأرض، فخلفاؤه والذين إتبعوهم بإحسان هم الذين (رضي الله عنهم)، { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }([2]). وقال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}([3]).

---

[1]- أخرجه الترمذي في : كتاب الإيمان – باب افتراق الأمة 26/5 رقم 2641

[2]- سورة فُصلت، الآية : 33

[3]- سورة يوسف، الآية : 108

وإننا لمن المتفائلين ببوادر وعي إسلامي... وذلك بعد التجارب المريرة التي ذاقها أبناء الأمة الإسلامية نتيجة ابتعادهم عن كتاب ربهم وسنَّة نبيهم، ومنهج سلفهم الصالح في تطبيق الكتاب والسُّنة حتى يكون واقعاً حياً تعيشه الأمة الإسلامية، وقد قال عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما): ((كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل))([1]).

[1]- أخرجه الإمام أحمد في المسند 466/38 رقم 33482

المصادر والمراجع:

1- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكتاب، ط(1)، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1401هـ.

2- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف ، بيروت.

2- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، ط(1) دار ابن خزيمة ، الرياض ، 1414هـ.

3- جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، ط (1)، 1408هـ.

4- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي، بيروت.

5- سنن ابن ماجه، محمد بن أبو عبدالله القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر،بيروت.

6- سنن الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

7- السنن الكبرى، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ط(1)، 1344هـ.

8- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط (4)، (1407هـ – 1987م).

9- صحيح البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط(1) دار طوق النجاة 1422هـ. المكتبة الإلكترونية w.w.temawy.com

10- صحيح مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

11- في ظلال القرآ،، سيد قطب، موقع التفسير. http://www.altafsir.com

12- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبوعبدالرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب(1406هـ- 1986م).

13- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة المصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط (5)، 1420(هـ – 1999م).

14- المسند، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ط(2)، (1420هـ- 1999م).

15- المعجم الأوسط، أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة 1415هـ.

16- المعجم الكبير، أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ملفات وورد على ملتقى أهل الحيدث. Http://www.abdalhdeath.com

17- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، (1399هـ – 1979م).